

دورنا الثقافي

في تنمية الثقافة العالمية المعاصرة

بقلم صلاح دهني

ان أوروبا عندما تلقت الاديان من الشرق وتبنتها ، لم تتلق مواعظ وعبر مسطورة في كتب اذهلتها عن معتقداتها المتبعة الى درجة الايمان بها والتسكّر لما عداها ، بل تلقت من خلالها كذلك جانبا من الميراث الثقافي والاجتماعي للشعوب التي ظهرت فيها الاديان . ذلك كان المصدر الاول .

ويتصفح المنصفون تاريخ العالم ، فيقرون بأن التأثيرات الثقافية كانت في مد وجزر واخذ وعطاء ، وان النماء الثقافي لم يقتصر قط على امة من الامم او قارة من القارات . وانه يكفي ان ينظر المرء الى خريطة عالمنا في القرون الوسطى ليرى كيف ان أوروبا التي كانت تمش في الظلمات ، كانت تتلقى عن طريق الشعوب العربية في شمالي افريقيا وغربي آسيا الميراث الثقافي للعالم القديم بما في ذلك الاسهام العربي . وقد كان لذلك اعظم الاثر في ايقاظ الوعي عند الانسسان الأوروبي ، وفي بعث ثقافة انسانية ، اثرت وما انفكت تؤثر حتى يومنا هذا ، لا في أوروبا وحدها بل في مجرى الثقافة العالمية كلها .

وفي هذا المجال يلاحظ ان الشرق سبق الغرب في ثقافته وحضارته وان حضارات الشرق عاشت اكثر من حضارة الغرب ، فالصينة عاشت اكثر من اربعة الاف عام ، والصينية ٣٠٠٠ ، والفارسية ١٠٠٠ ، واليابانية ١٥٠٠ ، اما العربية فتدوم منذ حوالي ٧٠٠ سنة .

وكانت الحضارات الشرقية تستهدي المثل الخلقية وتسمى لتنظيم علاقات الجماعات والشعوب في السلام ، في حين تتجه الغربية نحو بلوغ المزيد من الرفاهية المادية .

كيف حصل هذا الاتصال ، فالتلاحم ، بين ثقافات شرقية متقدمة ، وثقافة غربية وليدة بدأت تتقدم بوتائر عالية في وقت ما ؟ كيف بلغت الثقافات الانسانية تلك المرحلة المدهشة حين تجمعت في سواك بدأت كلها تنصب في نهر الثقافة الأوروبية المنامي ؟

لا يقوم ازدهار ثقافي من العدم ، كما لا تنمو زهرة وتتفتح في صحراء مجربة ، لا معنى عن ان تأخذ كل ثقافة عن سابقتها ، ثم تجري عملية التحويل التي تتناسب وعطاءها الذاتي .

في تلك المرحلة المبكرة من بدايات النهضة الأوروبية بدأت شعوب أوروبا عملية الامتصاص الكبرى من ثقافات الشعوب التي تقدمتها على دبوب الحضارة . وشيئا فشيئا جعلت الافكار والنظريات والمذاهب الفلسفية والعطاءات الحضارية بمختلف اشكالها وصنوفها ، وبمختلف مصادرها الخارجية تنصهر في ذلك المجرى الداخلي المتحرك تحرك اندفاع

في الادب ، شعره ونثره ، في ناتج الذهن البهجة الطلعة ، في الخط واللون في الموسيقى والرقص ، في الحجر الاصم انطقه الفنان ، ترى الفكر في توجهه والقلب في فصاحته ، الكلمات ، اللون ، النغم ، ادوات . لكل اداة ايد تضرع ، تمسك ، تقتل ، تداعب . والثقافة التي هي جماع الكلمات والالوان والانغام ، افتتان مستمر ، تحفظ مما قيل ، فاض به القلب واعطى العقل ، ما كان يستحق ان يبقى . ولا تحفظ من انجازات الماضي سوى النزر الذي ارتاته جديرا بان يعود المرء الى تأمله .

وثمة عدد قليل من الشعوب وعدد قليل من القرون ، يشكلان الميراث العالمي . وهناك حوالي ١٠ - ١٥ لغة كانت في ازمان متباعدة قد القت على سطح الارض ، كلا في صنف او نوع او لون ، تلك الومضات الشخصية التي ما زلنا نقبس من وهجها وتنور بها اعيادنا .

تلك وقائع لا ريب فيها . وغاية الامر ان تلك التالفات لم تكن ابدا حكرا على امة او قارة او زمان ، فما برزت ثقافة الا باخذها واستيحائها الثقافات الاخرى القريبة او البعيدة . ان الروعة المدهشة التي يفجونا بها ادب ما ، او فكر او فن ظهر هنا او هناك ، في يوم الناس هذا او في عهد سحيق مضى ، ترجع الى اسباب هشة ودقيقة ، بينة المعالم او وليدة الحظ والمصادفة حتى لتنبهر بها عقولنا . فلا الدم ، ولا الاقليم ، ولا السلم ، ولا الحرب ، ولا السيطرة ، ولا الحرية ، ولا الفنى ، ولا التنوع ، ولا المعاهد ، ولا المؤسسات ، ولا المواقع ، ولا الازمنة ، ليست تفسر وحدها او مجتمعة تفجر المعقريات .

ويقولون لك : اذا كان لكل امة موروثاتها الثقافية ، فما تلك سوى مستحضرات بيتية يتبعدها المرء في كوخه ليخرجوا من هذا الى ما يروجون له من ان الثقافة العالمية المعاصرة وليدة العطاء الاوربي - الامريكي وحده . حتى ان المرء لا يستغرب حين يسمع ويقرأ الكثير عن الادعاء القائل ان عبقرية الثقافة العالمية تنزل من خليط من نعمة اينا وجلال روما ولا شيء غيرهما .

هكذا ، تحت قرع صولجان المنجبية ، وجلجلة مواكب الخيلاء ، تنطلق الابواب على النسيم الاوربي ، ويضيع فضل الامم العربية القديمة في آسيا وافريقيا على البناء الثقافي للعالم الحديث من الصين والهند وفارس ، الى اشور وفينيقيا والفرعنة ، حتى العطاء العربي .

غير ان المنصفين من الاوربيد انفسهم لا يذهبون في ذلك مذهب غلاة المنكرين الجاحدين . ونبدأ هنا بمقولة نصوغها على هذا النحو :

أحيانا كثيرة ، ثم تتحول بالتدرج الى جزء عضوي اصيل في الحركة الكلية للثقافة الأوروبية . بذلك اخذ الفكر الأوروبي يتكون ويكتسب طابعا مستقلا ومتميزا بما يتناسب والظروف الجديدة للشعوب الأوروبية التي تختلف بالطبع عن بيئات الثقافات الآسيوية الاقدم ، وبخاصة بعد ان اخترعت أوروبا المطبعة ، فانتقل العامل الثقافي من طور الأثر الفردي المحدود الى طور الأثر الجماعي ، اي من اريستوقراطية الفكر الى ديموقراطية المعرفة .

والتفاعل هنا لا يعني الانفعال فحسب . فما قد حدث من تفاعل وتيرة التطور في المرحلة التاريخية التي شهدت تكون الحضارة الأوروبية وتيرة جديدة من حيث سرعة الحركة وطابعها النوهي .

والتفاعل هنا لا يعني الانفعال وحسب . فما قد حدث من تفاعل الفكر الأوروبي في تلك المرحلة التاريخية مع تراث الفكر اليوناني والهندي والفارسي والعربي ، احدث بالفعل تغييرا نوعيا في اتجاهات الفكر الأوروبي ومد امامه افاقا جديدة واسعة وتطلعات فسيحة وضمت على طريق التطور الذاتي والابداع الخلاق . لقد اتخذت أوروبا من ثقافات الشعوب الأخرى موقفا انتقائيا وانتقاديا بمعنى انها اخذت ما استطاعت به ان تعمق افكارها ومفاهيمها الخاصة ، ثم اطلقت لنفسها حريسة التعبير والتطوير على نحو يخضع لاتجاهاتها هي ولتطلعاتها الأساسية ، هي في المذهب والمناهج على حد سواء ، وذلك هو الابداع .

وهناك معدي عن التوقف عند الدور الخطير الذي لعبه العرب ، فحضارة العرب لعبت دور الوسيط ودور المعلم بين الحضارات الأخرى في آسيا وأفريقيا ، وبين أوروبا . فهي التي نقلت الموروثات الحضارية عن طريق قرطبة وطليلة في اسبانيا التي قطنها ثمانية قرون وكذلك عن طريق المدن الإيطالية التي احتكت ببلاد العرب اثناء الحروب الصليبية وقبلها وبعدها وكانت مراكز كبرى للتجارة ، وفي مقدمتها البندقية وسالارنو وناپولي ، وبالرمو في صقلية . فبعض نواحي الثقافة فسي الصين والهند انتقلت الى العرب عن طريق الفرس خاصة ، ثم انتقلت عن طريق العرب الى أوروبا . وحضارة ما بين النهرين في العصور القديمة ، انتقلت الى مصر والى بلاد بحر ابيح عن طريق سورية وسواحل آسيا الصغرى ، كما احتفظت الدولة البيزنطية بمزيج من حضارات الشرق واليونان ونقلها علمائها وعلماء العرب الى أوروبا خاصة بعد فتح القسطنطينية من قبل العثمانيين .

وكانت بيزنطة دولة بسيطة ، لا هي خالصة في شرقيتها ولا خالصة في آثارها الغربية ودامت نحو الف سنة بعد سقوط الدولة الرومانية في الغرب الى ان قضى عليها الفتح التركي عام ١٤٥٣ . وكانت حضارة بيزنطة مع الحضارة الإسلامية اهم حضارتين في العصور الوسطى ، وكانت يونانية في اللغة والادب واللاهوت ، رومانية فيما يتصل بقوانينها وتقاليدها العسكرية وسياستها المالية . وقد اثرت في نقل كثير من عناصر الفكر الأفريقي الى الثقافة الإسلامية المزدهرة واخذت عنها عناصر شرقية ورثتها من العصر الهلنستي وكتب مفكروها في المسائل الفنية ووضع شعراؤها الأشعار الشعبية ومن أشهر علومها الحقوق والطب والفلك والرياضيات وبرع فنانوها في مجال تصوير الأيقونات ، وزخرفة الابنية والنقش ، وبلغ أوج فن العمارة في بناء كنيسة « ايا صوفيا » بالقسطنطينية .

فلو جئنا - من باب التذكير فحسب - الى تعداد غابر وسريع الى بعض ما حققته حضارات آسيا وأفريقيا من منجزات ثقافية لذكرنا ان الصين عرفت الخزف المدهون منذ الألفين الثالث والثاني ق. م . ، وعمال الحفر والنحت والنقوش والتصوير والكتابة على صفايح الخيزران وظهر اصلاحيون كبار من مثل كونفوشيوس الذي خلف بفكره وتعاليمه عمق الأثر واوجد الصينيون التقاويم السنوية ، واعظم ما اخترعوه صناعة الورق من قشر الشجر والقنب وشباك السمك والخرق . ويرعوا في الكيمياء ووجدت بين الأثار الصينية اقداح من البلور ومرابا نحاسية ، كما وجدت علامات على اختراع نوع من القباغة بواسطة الحفر البارز على الواح من الخشب ساعدت على حفظ تراث شعري وفكري كبير . وفي مجال العلوم ينسب الى الصينيين انهم قسموا السنة الى اربعة فصول وجعلوها ٣٦٦ يوما ، ولهم فضلهم على التقسيم العددي الصيني ، وفلسفة العلوم والكيمياء والطب البيطري والبحوث الجغرافية ، وهم اول من استعمل البارود .

تلك بعض المعالم الرئيسية في ثقافات مجموعات الامم الآسيوية التي تتألف منها الصين والهند وپارس وغربي آسيا ، وقد جئنا على ذكرها - ان في تعداد الامم او تعداد منجزاتها - من باب التمثيل لا الحصر طلبا للإيجاز . وهذه المعالم الكبرى لم تنفرد بها أمة من الامم التي ذكرناها ، ولا قامت وحدها دون غيرها ، بل كانت جماع مكتسبات هذه الامم والامم الأخرى في آسيا وأفريقيا جميعا بما فيها طبا الشعوب السوداء التي عنيت كما عني غيرها بدراسة احوال الفلك وكانت لها معتقداتها ودياناتها والتهتها ، ولها ثقافتها الخاصة المناسبة مع ظروفها من آداب شعبية متوارثة وفنون متعددة في مقدمتها الموسيقى والفناء والرقص وحتى التمثيل .

وطورت الهند علم الفلك ، فدرست حركة السيارات ومواضعها والخسوف ، وحساب الوقت وشروق القمر والشمس ومقاييس الأرض ومسافات النجوم . وفي مجال الرياضيات كتبت في الجبر والفائدة والكسور والجذر المربع والمكعب والمساحات والجيب . وتحتوي كتابات « بسكرا » فقرات عن الصفر واستعماله وعن الكميات المجهولة والمعادلات

ان هذه المعالم الرئيسية مع ما انجزه العرب فيما بعد ، شكلت البناء التحتي الذي لم يكن منه يد لنهضة الثقافة الأوروبية . غير ان كل أمة من تلك الامم لم توصل وحدها وبوسائلها ، مما حققته وانجزته في مختلف مجالات العلوم والفنون والاداب الى شعوب

أوروبا ، التي بدأت - عن طريق الترجمة والنقل - عملية الاستقبال والامتصاص والتمثل الكبرى التي أدت فيما بعد إلى انبثاق الحضارة الأوروبية .

إن الأمة العربية هي التي قامت بهذا الدور بالدرجة الأولى .

فقد جاء حين من الزمن كان فيه العرب المسلمون قد بلغوا أن يكونوا حملة المشعل الحضاري وورثة الثقافات الإقدم . وقد ساعد على تلقيهم تلك الثقافات موقع البلاد العربية في القلب من العالم ، إذ تلتقي عندها قارات ثلاث هي آسيا وإفريقيا وأوروبا . وبفضل هذا الموقع لعبت الأمة العربية دوراً خطيراً في تاريخ البشرية ، وكانت مهداً للحضارات والرسالات وقامت بدور الوسيط بين القديم والحديث وبين الشرق والغرب . فقد عكف العرب على دراسة التراث الفكري القديم والمعاصر لهم ، ووضعوا لأنفسهم طريقة علمية في البحث والاستنتاج ، فأثبتوا كفاءتهم كطلاب علم ونقله وتراجمه ، ثم أصبحوا مع الزمن أساتذة المدنية ومنتشي تراثها ، ومؤلفي كتبها في أوج تألقها ، وتركوا للأجيال تراثاً حفظ للعالم حضارته القديمة ، وأضاف إليه حضارة جديدة كانت الطريق والوسيلة إلى النهضة العلمية الحديثة .

وقد اعتاد مؤلفون عديدون من الغرب أن يصفوا القرون الوسطى بالقرون الظلمة وكانهم بذلك - كما يقول أحد الباحثين - يلغون من التاريخ أجمل عصوره العلمية ، لأن في ذلك تجاهلاً للنشاط الثقافي العربي الذي نشر المدنية في العالم بعد أن انطوت فارس وانكشفت ببيزنطة ، وعادت أوروبا إلى همجيتها . هذا النشاط الذي كان من عناصر تطور الحضارة الغربية . وفي هذا المجال نورد قولاً للبروفيسور « نويرات » من جامعة بون : « أننا لم نتسلك سلم الأجد على اكتشاف اليونان كما كنا نظن ، بل على اكتشاف العرب » .

والواقع أن الدولة العربية وضعت الأسس للبحث العلمي . فانشأت المعاهد وأجرت على مراتبها الأبحاث . ووضعت للجوامع والمدارس نظاماً تشبه نظم المدن الجامعية اليوم . فكان جامع القرويين في المغرب وجامع الزيتونة بتونس والجامع الأزهر بالقاهرة ، وجامع قرطبة في الأندلس والمدارس والمكتبات الكبيرة الأخرى بدمشق وبغداد مراكز للإشعاع العلمي وانشاء الحضارة . وبعض تلك المكتبات وهي مكتبة مدينة طرابلس الشام كانت تضم - كما يقول جرهمان وآرنولد - ثلاثة ملايين مجلد قضت عليها جيوش الصليبيين .

وقد أخذ العرب عن الصين صناعة الورق وحسنوها وهم الذين نقلوها إلى أوروبا عن طريق الأندلس .

وليس أدل على أهمية العلم العربي وأثره العظيم في ثقافة القرون الوسطى عامة من أن نورد شهادة المؤلف جورج سارتن في كتابه الضخم: « مقدمة لتاريخ العلم » . في هذا الكتاب استعرض المؤلف تطور الحركة العلمية خلال ألفي سنة تنتهي مع نهاية القرن الثالث عشر ، وقد حرص المؤلف على أن يجزئ تاريخ الفكر إلى أنصاف عصور ، ويطلق على كل منها اسم عالم عظيم كان له أثره في الفكر الإنساني عامة في تلك الحقبة . فإذا استعرضنا مع « سارتن » القرون الوسطى ، وجدنا أن هذه العصور جميعاً عرفت باسماء مؤلفين وعلماء من العرب .

فالنصف الثاني من القرن الثامن دعاه باسم « جابر بن حيان » الكيميائي . وفي القرن التاسع برز « الكندي » عالم البصريات الذي تجاوزت مؤلفاته ٢٥٠ في الطب والفيزياء والفلسفة والموسيقى وترجمت كتبه إلى اللاتينية في أواخر القرون الوسطى . غير أن سارتن أطلق على الشطر الأول من القرن التاسع هذا اسم « الخوارزمي » الذي وضع الأسس الحديثة لعلم الجبر واستخدم الأرقام الهندية التي تدعى في الغرب « الأرقام العربية حتى اليوم » وأعطى علم « اللوغاريتم » اسمه .

كما أطلق سارتن على الشطر الثاني من القرن اسم « الرازي » الطبيب الذي كان كتابه « الحاوي » ورسائله في الحصبة والجديري ، وكتابه في السيريات ، من أسس المعرفة الطبية في العالم ، وترجمت إلى اللاتينية فيما ترجم من التراث العربي .

وكان القرن العاشر يعج بالاختصاصيين العرب في مختلف العلوم من أمثال الفارابي الفيلسوف العالم ، وواضعي رسائل «أخوان الصفا» واختار منهم « سارتن » اسم السعدي ، الجغرافي المؤرخ ، فأطلقه على الشطر الأول من القرن ، وأطلق على الشطر الثاني اسم «أبي الوفاء» الفلكي الرياضي .

أما القرن الحادي عشر فبلغ فيه العالم العربي أسى عصوره الذهبية . ويصف سارتن هذا التائق حين يقول :

« أن الانتقال من العالم الأوروبي إلى العالم الإسلامي العربي يكاد يشبه الانتقال من الظل إلى الشمس المشرقة ، ومن عالم ناعس إلى آخر متعرج بالنشاط .

في حين يقول ماكس مايرهوف : « . . إن عظمة الابتكار العربي تتجلى لنا في البصريات . . » .

وفي هذا العصر برز « ابن الهيثم » الفيزيائي صاحب النظريات الشهيرة في البصريات والهندسة والفيزيولوجيا ويمكن اعتباره منسئء علم الضوء الحديث ورائده . وظهر ابن سينا من أعظم أطباء العصور وكان كتابه « القانون في الطب » النص المعتمد في كليات الطب الأوروبية طوال ٥٠٠ سنة . وعرف هذا العصر « الفزالي » ناقد الفلسفة المشهور . ولكن « سارتن » أطلق على الشطر الأول من هذا العصر اسم « البيروني » الفلكي الجغرافي الفيلسوف الهندي ، وأطلق على الشطر الثاني اسم عمر الخيام الشاعر الفارسي وأحد كبار العلماء في الرياضيات والفلك كما قدمنا .

فلما جاء القرن الثاني عشر ، تجسدت نكبات العالم الإسلامي العربي ، فكانت الحروب الصليبية وغزوات التتار ، وحرقت المكتبات ودور العلم ، فلم يطلق « سارتن » على هذا العصر اسماً عربياً لكنه اعترف بأن الغربيين بدأوا في هذا العصر بترجمة التراث العربي ، وساروا على آثار العرب في البحث العلمي كما استمدوها من خلال الحروب الصليبية وعن طريق صقلية والأندلس بعد أن احتلها الغربيون .

إن هذا الدور الخطير الذي لعبه علماء الدولة الإسلامية العربية فيما نقلوا وابتكروا وأوجدوا كان دور المهد للتطور العلمي اللاحق . فوجود ابن الهيثم وجابر بن حيان وأمثالهما كان لازماً ومهداً لظهور غاليليه ونيوتن ، ولو لم يظهر ابن الهيثم لأضطر نيوتن أن يبدأ من حيث بدأ ابن الهيثم ، ولو لم يظهر جابر بن حيان لبداً غاليليه من حيث بدأ جابر . وهذا ما جعلنا نقول : « لولا جهود العرب لبداً النهضة الأوروبية في القرن الرابع عشر من النقطة التي بدأ منها العرب عند نهضتهم العلمية من القرن الثامن للميلاد » .

وهذا التأثير الذي كان في ميدان العلوم ، كان له مثيله في الميادين الثقافية الأخرى كافة . فمنذ من يرى أن قيام العرب بشرح الفلسفة الكلاسيكية أمر جدير النظر والاعتبار ، وهو أمر لا بد منه قبل أن تتهاى العقول للتفكير العلمي الحديث . وهم لم يقفوا عند هذا الشرح ، بل خرجوا إلى نسق جديد في بعض بحوث الفلسفة : « فلاسفة العرب قد نحوا في البحث عن الوجود منحى مستقلاً غير تابع لتعلقهم بالقرآن » . كما يقول « وولف » . ويضيف أن في الفلسفة العربية « عناصر مستمدة

من مذاهب الفلسفة اليونانية غير مذهب ارسطو ، وفيها عناصر فارسية ثم ان فيها ثمرات عبقرية اهله . . باختيار آراء من مذاهب اخرى ، وبالتخرير والابتكار . .

ومن العلماء العرب من يمكن اعتباره مؤسس علم الاجتماع . وفي مقدمتهم « ابن خلدون » الذي قال بلزوم اتخاذ الاجتماع الانساني موضوعا لعلم مستقل ، وذهب الى ان الاحوال الاجتماعية تنأت من علل واسباب تعود الى طبقة العمران وطبيعة الاجتماع .

وهذا عدا التأثيرات الادبية والفنية الاخرى التي انتقلت من العالم العربي الى الفنون والاداب الاوروبية عن طريق مدرسة قرطبة الكبرى في الاندلس وغيرها من المدارس وعن طريق صقلية كما اسلفنا ومن اشهر القصص التي اثرت في الاداب الغربية في كل العصور قصة « الف ليلة وليلة » الشهيرة ، كما ان اثر التزيينات والزخارف والذهنية التجريدية العربية ما يزال حيا باقيا الى يومنا هذا في الفنون الاوروبية عامة ، وفي العديد من المباني الاثرية والكنائس القديمة .

هكذا آلت زعامة الفكر الى الغرب منذ القرن الرابع عشر بعد ان انتزع فلاسفته وعلمائه وفنانهو الياة التي حملها العرب عدة قرون . وبقي العرب اساتذة في صروب كثيرة من العلوم في الفلك والرياضيات والطب والصيدلة وعلم النبات ، وكذا في الادب والفن .

ومن واجبا ان نذكر ان حضارة العالم العربي الاسلامي (حسب الاصطلاح العلمي المكرس) وثقافته كانت :
اولا - الوريثة الشرعية لثقافات آسيا وافريقيا واليونان .

ثانيا - انها لم تكن مقتصرة على عطاء علماء وفنانين وادباء ومهندسين وفلاسفة من العرب فحسب بل شارك فيها ابناء القوميات الاخرى ممن اظلمتهم تلك العولة من قازاقستان وطاجيكستان شرقا وكذلك من الهند وفارس وتركيا ، عبر العراق وسورية ومصر والسودان ، حتى المضرب والاندلس غربا .

وقد ظلت هذه الثقافة مبدعة طوال قرون عديدة ، واسهمت اسهاما اساسيا في بناء الفكر الاوروبي والثقافة العالمية . .

تلك نظرات في الثقافة الاسيوية الافريقية ، وكيف اثرت واندمجت كلها في مسار الثقافة العالمية التي يمكننا ان نصلطح على تسميتها بالثقافة الاوروبية او الثقافة الغربية .

واليوم ، تجد شعوب آسيا وافريقيا ان من اول ما يتوجب عليها ان تتصل بالثقافة الغربية العالمية وان تأخذ عنها ، فالفجوة الاخذة في الاتساع بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة قضية اساسية من قضايا العصر الذي نعيش فيه ، وهي ما تنفك تسوط الضمير الاسيوي الافريقي وتدفعه الى حرق الراجل .

وغاية الامر ان هذه الثقافة الغربية تواجه ثقافات آسيا وافريقيا من وجهة نظر استعلاء . فهي المتقدمة ، وهي مصدر الحضارة ومنبعها ، وهي الجديرة وحدها بالانتشار ، والمثقف الغربي - بنحو عام - يتخذ موقفا عنصريا لدى مواجهته الثقافات الاخرى . فيتنكر لماضيها وينكر حاضرها ، (حتى انه نادرا ما يهتم بترجمة اثارها) ، ويتبرأ من ان يكون تشكله اليوم من نتائج عطائها بالامس . وقادة الفكر الغربيون لا يغيرون آراءهم : فهم لا يظلمون ، ولا يعرفون ، ولا يريدون ان يعرفوا . وهؤلاء

كانوا جديرين - بثقافتهم الرفيعة ، ومواهبهم العالية ، وتأثيرهم الاكيد - ان يدخلوا تغييرات اساسية في اصول التفاهم بين الشعوب ، متقدمها اليوم ومتخلفها .

ان الانطلاقة الحقيقية للتفاهم بين الشعوب ، لا تبدأ من موقف توازن القوى ، بل من ان لكل شعب كيانه وثقافته التالدة والمحدثة . وهنا ، لا تجوز المقارنة بين المنجزات الثقافية المختلفة الا من خلال ظروف تاريخية وذاتية وموضوعية متماثلة .

وان احد وجوه عبقرية « لينين » تتمثل في انه فهم بان تمام تفتح الشعب - اي شعب - لا يكون الا بكامل تفتح ثقافته ، وان مثل هذا التفتح ادعى للتفاهم والتآخي بين الشعوب .

ومن بعده جاءت منظمة اليونسكو ببرنامجه الشهير « شرق - غرب » انطلاقا من ان الثقافة وحدة متكاملة ، فلا معدى عن التواصل . ورغم ان هذا البرنامج لم ينجح النجاح المرجو ، الا انه على الاقل شد انتباه الناس الى ضرورة التواصل على المستوى الثقافي تمهيدا للتلاقي على مستوى الرغبة في التفاهم وحياة السلام والوئام .

وبعد ، فاوروبا هي حقا رافعة الياة الثقافية في العالم واحدى منائر الفكر الحديث . لكن اوروبا ليست وحدها العالم الحديث . فناريخ ثقافتها هو تاريخ عالمنا كله . والشعوب جميعها ، تحت المدارات كلها اسهمت وتسهم ، بشكل او باخر ، في تكييف الاحداث وتكوين الثقافة الانسانية العالمية وليس يسعدنا اكثر من ان نرى اليوم ، ولاول مرة في التاريخ البشري عدة محاولات تبذل لبناء حضارة مشتركة للعالم كله ، لا تقوم فيها السيادة لشرق ولا لغرب ، بل للجنس البشري كله ، على ان يعمل الناس بروح المساواة والتعاون في سبيل تقدم الانسانية وكرامة الانسان ، دون ما تفرقة لجنس او لقومية او لنظام اجتماعي .

(مراجع البحث)

شمس العرب تسطع على الغرب	سيجريد هوتكه
دور العرب في تطور العلوم الطبيعية	البرت ديتريش :مجلة اللسان العربي عدد ٦ ، ١٩٦٩
المدخل الى تاريخ الحضارة	جورج حداد
ثقافة الشرق والغرب	محمد عوض محمد
حضارات وامبراطوريات في افريقيا العرب والكشوف العلمية	عبد الرحمن زكي مجلة «الاجلة» عدد ١١ محمد يحيى الهاشمي مجلة « اللسان العربي » عدد ٥ ، ١٩٦٧
تراث العرب الحضاري ، ما نشر منه وما لم ينشر	عزة حسن
الشرق والغرب	احمد امين
الاتجاه الفكري عند العرب	قديري حافظ طوقان مجلة « الثقافة الوطنية » عدد ٦٤
الاجتمع العربي	احمد السمان
اين العالم الثالث من العالم المعاصر	أ.ي. ليفكوفسكي . ترجمة مطانيوس حبيب .
الادب والعالم الحديث	تقرير عن المؤتمر الادبي المنعقد في
العرب والكشوف الحضاري ، ما نشره ونشره	١٩٦٨ ، مجلة « اعمال وآراء » منه وما لم ينشر عدد ١٢٢ ، الطبعة الفرنسية .